

التسامح و توسيع أفق الوعي

كوننا نعيش على الأرض، في عالم النسبية، فإننا عرضة لارتكاب الأخطاء.. لا بل الخطأ قد يكون خطوة إلى توسيع وعي المرء شرط أن يقترن بالتعلم وتقويم الأسباب التي أدت إليه..

أن نقترف خطأ ما، ونعمل على تصحيحه على قدر مستوى وعينا أمر قد يتقبله كل منا.. لكن، هل نتقبل المواقف التي يخطئ فيها الآخرون تجاهنا؟

فحين يُنتهك حق أحدنا، حين يسيء أحدهم إلى سمعتنا أو إلى عملنا وشخصنا، وحين يكون «الجرح ساخناً»، كيف تكون ردة فعلنا؟ فهل نستطيع أن نسامح مَنْ أساء إلينا وكيف؟ وهل في المسامحة انتقاص لكرامة المرء؟

معلومٌ أنّ علوم الايزوتيريك هي علوم إنسانية بامتياز.. تقدم النهج العملي والمنهج العملاني في أكثر من ثمانين مؤلفاً لتاريخه وفي سلسلة من المحاضرات العامة المجانية في لبنان والعالم العربي كي تساعد المرء على التعرف إلى نفسه وتطوير وعيه الداخلي حتى يرتقي في عيشه.. فمن خلال تطبيق هذه العلوم الراقية يفعل المرء إنسانيته ويطور وعيه شيئاً فشيئاً.. من هنا، تركز علوم الايزوتيريك في معالجة موضوع المسامحة على فهم حالة النفس البشرية ومنطق الطباع الفردي كي تقدم المنهج العملي الشافي. وهذا المنطق حين يرتبط بمسامحة الآخر على أخطائه يمرّ بقاعدة رباعية تتلخّص بالغضب والتجاهل، وأن لا نردّ الإساءة بالمثل، ومن ثمّ التناسي.

فهذه الرباعية تشكّل بحدّ ذاتها المسار العملي التي تحوّل الحالة النظرية للمسامحة إلى حالة عملية واعية يتقارب فيها الفكر والقول والعمل.

رباعية عملية للتسامح

الغضب هو الحالة الأولى التي تعترى المشاعر وتؤثر على الكيان الباطني الداخلي ككل حين يُساء إلى المرء. أما حين تهدأ ثورة المشاعر، فينطلق التفكير المنطقي.. أي يبدأ المرء بتجاهل المشاعر السلبية التي تعتريه تجاه الآخر، ويضعها جانباً ليركز على فهم التجربة من خلال البحث عن الأسباب الخافية التي أدت إلى حصولها..

وهذا ما يُعرف في مفهوم علوم الايزوتيريك بالمنطق السامي الذي يربط النتائج الظاهرة بالأسباب الخافية والتي تكون مرتبطة بالإنسان كونه المحور للتجارب التي يتعرّض لها.. فتراه ينقبّ عن الأسباب والأخطاء التي سبها عن الانتباه إليها، والتي أدت إلى أن يُساء إليه. إذ إنّ منطق الايزوتيريك يقول: «إذا ما أخطأ أحدٌ في حقنا، لنبحث عن الخطأ الذي كنا قد ارتكبناه في حياتنا اليومية والعملية قد ينسى الإنسان هذا المنطق أثناء ثورة الغضب وهيمنة المشاعر السلبية التي تعيق عمل الفكر، فتدفعه إلى التذبذب بين الرؤية الإيجابية والنظرة السلبية للأمور.. خاصة وأنّ «الأنا الفردية» أو «الإيغو» ستدافع عن نفسها لتجد جميع الذرائع والأعذار كي تضع اللوم على الآخر.

لكن، حين تطول فترة الشعور «بالجرح النفسي»، تبدأ النفس البشرية بالتملل.. وكأنّ الجانب الإنساني ينتفض مطالباً بالتقدم والتطلع إلى الأمام. فيسعى المرء حينها إلى البدء بتصحيح أخطائه والإقرار بأنّ حتى الإساءة ليست سوى تجربة يستطيع أن يصقل من خلالها شخصيته ويقوم سلوكيات لم يكن ليعمل عليها لو لا ما حدث معه.

بالتالي، يكون المرء قد جابه نفسه، تصالح معها، وسامح نفسه أو لا على ما ارتكبه هو من تصرفات خاطئة في الماضي البعيد أو القريب مصمماً العمل على تصحيحها.

لا تنسيء إلى من أساء إليك

بعد المجابهة- المصالحة- ومسامحة النفس، يعود المرء إلى دراسة مشاعره وأفكاره، إنما من منطلق جديد يكون محوره فهم شعوره وموقفه تجاه من أساء إليه. وقد يجد صعوبة في التجرد في الحكم على الآخر حيث أن مجرد التفكير فيما حصل معه قد يستفز المشاعر السلبية مجددًا في كيانه.

هنا، تكمن مجددًا أهمية أعمال المنطق الايزوتيريكي الذي يتمحور حول عدم إطلاق الحكم على أي شخص وعدم محاسبة الآخرين على الأخطاء التي يرتكبونها حتى تجاهنا. إذ إن قانون الحياة عادل ومنصف ويحكم الآخرين على أعمالهم.

ومع هذه الخطوة العملية يكون قد فعل الإنسان الخطوة الثالثة "بألا نسيء إلى من أساء إلينا"

ضرورة التناسي

هنا، يتبادر إلى الذهن السؤال التالي: كيف يستطيع الإنسان أن يحقق الخطوة الرابعة «التناسي» والذي هو ركن أساسي لمسامحة الآخر؟

كي ينجح المرء في تحقيق المسامحة في الواقع الحياتي معناه أنه استطاع أن يحرر نفسه من كل شعور سلبي تجاه الآخر. وهذا لا يعني أن يحب من أساء إليه أو يتصرف معه كما كان معتادًا، بل أن يحرر نفسه من الكراهية عبر فهم أسباب تصرفات من أخطأ تجاهه. فمتى فهم الإنسان الأسباب، واستطاع أن يتقبل أن كل إنسان يخطئ، تتوسع حينها محبته العملية مع هذا الآخر..

فالمحبة الواعية هي المحبة العملية التي تتبرر بحكمة تصرف الإنسان في كيفية التعامل مع الشخص الذي أساء إليه وفقًا لنوعية العلاقة معه ونوعية الإساءة التي اقترفها تجاهه.

بمعنى آخر، حين يخطئ أحدهم تجاه شخص ما، ومن ثم يسامحه عبر غصّ النظر عن خطئه وإكمال علاقته به وكأن شيئاً لم يكن، (أي من دون أن يوضح مكان الخطأ الذي ارتكب في حقه حتى يعيد الآخر النظر في كيفية التعامل معه وتصحيح خطأه إن كان من مجال للتصحيح)، يكون التسامح هنا ضعفًا، انتقاصًا وتذليلًا.. ضعفًا في الشخصية وفي المواجهة.. انتقاصًا في المحبة العملية، وتذليلًا لصون الكرامة.. ولا عجب حينها أن يساء إلى المرء نفسه مرة أخرى ومن الشخص نفسه أو من شخص آخر. أما حين يضع المرء النقاط على الحروف بشكل حازم وجازم مع الشخص الذي أخطأ تجاهه حتى لو لم يصح خطأه، فتكون مسامحته قوة..

إذ إنّه حافظ على كرامته وأعطى فرصة للشخص أن يقوم تصرفه. علمًا أنّ المرء قد يقوم بهذه المواجهة مع الآخر من دون ترقّب إعادة العلاقة أو قطعها. فالمسامحة قوة حين تبدأ من الداخل إلى الخارج بغض النظر عن ردة فعل الآخر

في الختام، لا بد من القول إنّ في المسامحة تحررٌ.. تحررٌ من ثورة الغضب وفوران المشاعر.. هي مجابهة النفس، مصارحتها، مصالحتها، ومسامحتها.. هي إرادة مواجهة الخطأ بالصواب.. وعزم الوعي إلى الارتقاء إلى الأعلى.

بقلم: لبنى نويهض